El Mesbah Journal
in Psychology, Education Sciences and
Orthophony
مجلة المصباح
في علو النفسوعلوم التربية والأرطوفونيا

المجلد: (5)
العدد: (2)
سبتمبر 2025
(ص:70-85)

المسرحية ودورها في تربية المتعلّم على المهارات الحياتية: الألعاب الدرامية أنموذجا

Drama and its role in teaching learners life skills: Drama games as a model

أ.د/ رياض الحجّاج[1*]
Pr: Hajjej Riadh
المعهد العالي للغات بقابس. جامعة قابس. تونس[1*]
ISLG of Gabes Gabes University. Tunisia
البريد الإلكتروني: readhajjej@yahoo.fr :**E-mail**
رقم الهاتف: +216 29582950 **Phone Number :**

Received: 19/07/2025 **Accepted:** 27/07/2025 **Published:** 15/09/2025

ملخص:

لا بد من الإقرار أوّلا أن تفعيل العلاقة بين التربوي والفني وإن كان أمرا صعب التنفيذ والاجرأة إلا أنّه ليس مستحيلا، بل إنه اليوم أمر ملحّ وذلك لحاجة المدرسة أكثر من أي وقت مضى لتحيين مقارباتها والبحث عن نوع من العلاقات التفاعلية، والتشاركية مع مجالات معرفية مغايرة ، تبدو في الظاهر من خارج إطار التربية والتعليم لكنها في الواقع هي من صميم العملية التربوية. وكذلك لحاجة المعلّم نفسه لتجديد ممارساته المهنية.

وهنا يطرح المجال الفني نفسه الأنموذج الأمثل لتفعيل العلاقة بين التربوي والفني، وذلك لاتساع مجال الفن وقدرته على استيعاب مختلف تعلّميات المواد الدراسية، وتقنيات التنشيط الممكنة.

وتأتي ورقتنا البحثية في هذا الإطار التفاعلي بين التربوي والفنيّ.وقد آثرنا أن نهتم بأثر المسرح عموما والألعاب الدرامية على وجه الخصوص ودورهما في تربية المتعلم على المهارات الحياتية في أبعادها الاجتماعية ، و تنضوي هذه الورقة البحثية ضمن محورين من محاور

*-Corresponding author: رياض الحجّاج ,e-mail: readhajjej@yahoo.fr

التفاعل بين الفنّ و التربية وهما المستوى البيداغوجي التعليمي والمستوى التنموي الاجتماعي

الكلمات المفتاحية: مسرحة، مهارة، مهارات حياتية، ألعاب درامية، استراتيجية تعلّمية

Abstract:

It must first be acknowledged that, while activating the relationship between education and art may be difficult to implement and conduct, it is not impossible. Indeed, today it is a pressing matter. This is due to the school's need, more than ever, to update its approaches and seek out interactive, collaborative relationships with diverse fields of knowledge, which appear to be outside the framework of education but are, in fact, at the heart of the educational process. This is also due to the teacher's own need to renew his or her professional practices.

Here, the artistic field presents itself as the ideal model for activating the relationship between education and art, given the breadth of art's scope and its ability to accommodate various learning outcomes in academic subjects and possible activation techniques.

Our research paper falls within this interactive framework between education and art. We have chosen to focus on the impact of theater in general, and dramatic games in particular, and their role in educating learners about life skills in their social dimensions. This research paper falls within two axes of interaction between art and education: the educational pedagogical level and the social developmental level.

Key words: Drama, Skill, Life Skills, Dramatic Games, Learning Strategy

1- مقدمة :

نبدأ بالإقرار بأنّ تفعيل العلاقة بين التّربويّ والفنّيّ . وإن كان أمرا صعب التّنفيذ والأجرأة . ليس مستحيلا، بل إنّه اليوم أمر ملحّ، وذلك لحاجة المدرسة أكثر من أيّ وقت مضى إلى تحيين مقارباتها والبحث عن نوع من العلاقات التّفاعليّة والتّشاركيّة مع مجالات

معرفية مغايرة، تبدو في الظّاهر من خارج إطار التّربية والتّعليم، لكنّها في الواقع هي من صميم العملية التّربوية، وكذلك لحاجة المعلّم نفسه إلى تجديد ممارساته المهنيّة.

وهنا يطرح المجال الفنّيّ نفسه الأنموذج الأمثل لتفعيل العلاقة بين التّربويّ والفنّيّ، وذلك لاتّساع مجال الفنّ وقدرته على استيعاب مختلف تعلّميّات المواد الدّراسيّة، وتقنيات التّنشيط الممكنة.

وتأتي ورقتنا البحثيّة في هذا الإطار التّفاعليّ بين التّربويّ والفنيّ. وقد آثرنا أن نهتمّ بأثر المسرح عموما والألعاب الدراميّة على وجه الخصوص، ودورهما في تربية المتعلّم على المهارات الحياتيّة في أبعادها الاجتماعيّة، إذ تنضوي هذه الورقة ضمن محورَين من محاور التفاعل بين الفنّ والتّربية؛ وهما المستوى البيداغوجيّ التّعليميّ والمستوى التّنمويّ الاجتماعيّ.

فقد تبيّن لنا . من خلال تجربتنا مع طلبة "شعبة التربية والتعليم" تدريسا وتنشيطاً من جهة، ومن خلال اهتمامنا بمجال الدّراسات المسرحيّة بحثا ومتابعة من جهة أخرى . حاجة العمليّة التّعليميّة التعلّميّة إلى ضرورة تجاوز الأشكال النمطيّة Prototype للممارسات المهنيّة الّتي يتمّ إعادة إنتاجها دون مراجعة أو تحيين، وحاجة المتعلّم لدافعيّة أقوى تزيد من إقباله على الدّرس عبر جملة من المهارات هو في أمسّ الحاجة إلى اكتسابها.

وقد رأينا أنّ المسرح وهو "أبو الفنون" وما يترتّب عنه من استراتيجيّات في مقدّمتها المسرحة théâtralité والألعاب الدراميّة عموما، يمكن أن يكونا من أبرز تقنيات التنشيط المدرسيّ لتربية المتعلّم على جملة من المهارات الحياتيّة وتنمية الدّافعيّة لديه للتعلّم.

فما علاقة المسرح والمسرحة تحديدا بالبعدين، التربويّ والتعلّميّ؟

. وما السبيل إلى إدماج الألعاب الدراميّة صلب البرامج التّعليميّة بمستوياتها الثّلاثة على نحو تصبح معها مداخل مساعدة على تدريس كلّ التعلّمبّات الممكنة، وتفعيل دورها في التربية على بعض المهارات الحياتيّة ذات الأبعاد الاجتماعيّة؟

وكيف يساعد المسرح والمسرحة ومن ورائهما الألعاب الدراميّة على تجديد الممارسة المهنيّة للمعلّم وتنمية دافعيّة المتعلّم؟

وكيف تستحيل المسرحة إلى إستراتيجيّة من إستراتيجيّات التفكير الإبداعيّ في العمليّة التعليميّة التعلّميّة؟

هذه الأسئلة وغيرها، هي عبارة عن مداخل أو نوافذ نرصد من خلالها دَور الفنون عموما والفنّ المسرحيّ على وجه الخصوص في العمليّة التعليميّة التعلّميّة من منطلقين اثنين.

+ المنطلق التربويّ.

+ المنطلق البيداغوجيّ أو الدّيداكتيكيّ.

وليس الفصل بينهما سوى فصل منهجيّ بالأساس.

1 المهاد النظريّ.

إنّ المداخل النظرية . وتحديدا الحفر في الجهاز المفهوميّ الّذي عليه مدار البحث . ليس مجرّد رهان معرفيّ، إنّما هو مسار منهجيّ يُمْكن أن يحملنا إلى مختلف مراحل هذه الورقة العلميّة لأنّ اهتمامنا بالمفهومات لن ينحوَ منحى الاستعراض المعرفيّ لحدّ المفهوم لغة واصطلاحا، بل النظر في جملة المفهومات انطلاقا من قدرتها على تفسير الظاهرة محور الدراسة، وانطلاقا من طرائق اشتغالها ضمن سياقات مختلفة، كالسّياق التربويّ، والسّياق المهاريّ، والسّياق البيداغوجيّ، والسّياق الاجتماعيّ.

ثمّ إنّ الوقوف عند هذه المفهومات الّتي يتحرّك في إطارها المبحث يؤسّس لعقد توافقيّ بين الباحث والمتلقّي، والّذي بموجبه يكون ضبط حدود كلّ مفهوم احترازا من الوقوع في الغموض، أو اللبس، ومن أبرز هذه المفهومات:

1-: مفهوم المسرح:

هذه اللفظة من الفعل "سرح، السّيل جرى جريا سهلا، وسرح المواشي أرسلها ترعى في الفناء(...) هو مكان للترويح" (مصطفي كمال، 2013: 85).

وفي الاصطلاح تعدّدت تعريفات المسرح وتباينت، لأن كلّ تعريف يقدّم بالنظر في عنصر من عناصره، بينما تهمّش أو تكاد بقيّة العناصر، لذلك سنتوقف عند أقرب التعريفات إلى مدار بحثنا، من ذلك اعتبار المسرح فنّا تشخيصيّا يقوم على محاكاة الأفعال البشريّة بالصوت والحركة واستخدام الجسد الإنسانيّ أداة للتّعبير, وهو فنّ "يتكون من مجموعة من المقوّمات الضّروريّة الّتى تجمع بين النّص المكتوب والنّصّ المعروض" (فرحان، 126:2003).

ويبدو أنّ سمات المسرح هي الّتي تؤهّله ليكون مؤثّرا في أيّ مجال يتداخل معه، بما في ذلك مجال التربية والتعليم، وأولى هذه السمات وأهمّها هي المعايشة "الّتي هي الصفة الأُولى للمسرح، وتعني أنّه فنّ يطلب منه أن يتحدّث عن مشاكل عصرنا وهمومنا الفكريّة والسياسيّة والاجتماعيّة والإنسانيّة بجلاء واضح لا مواربة فيه"(بلبل، 127:2003).

ولسنا نروم البحث في المسرح المدرسيّ، وإنّما مجال اهتمامنا في هذه الورقة العلميّة هو كيفيّة استثمار عناصر هذا الفنّ في مختلف الأنشطة التعليميّة من جانب، وفي تربية المتعلّم

على جملة من المهارات الحياتيّة من جانب آخر. فما الدّور الّذي يمكن أن يلعبه المسرح في الممارسة التعليميّة؟ وما الاستراتيجيّات الممكنة لتفعيل هذا الدور؟

2-1 المسرحة La Théàtralité.

من المفهومات المركزيّة في مبحثنا، بل هي محور الاستقطاب الرئيس لإشكالات هذه الورقة لأنّ المسرحة . مثلما سنبيّن . هي الإستراتجيّة الّتي نبحث عنها لتفعيل دور المتعلّم في العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة، وهي في الآن نفسه الطريقة الّتي تمكّن المعلّم من تجديد ممارساته المهنيّة، وهي أيضا الواسطة بين ما يجب على المتعلّم أن يقرأه ويعرفه وما يجب عليه مشاهدته.

والمسرحة . كما تؤكّد (آن أوبرسفيلد) في حديثها عن المسرح . هي "الأداة القادرة على توحيد المتناقضات الاجتماعيّة [لأنها] نتاج فنّ (المسرح) يتطلّب المشاركة الإبداعيّة الجماعيّة" (أن برسفيلد، دت: 18)، وتتّفق جلّ الدراسات على أنّ هذا المفهوم،"عصيّ على التّعريف، لا يمكننا إعطاء تعريف واحد لا يحمل أيّ التباس، ولكنّه يتحمّل توصيفات متعدّدة من خلال أشكال تمظهره فى العروض" (إلياس، 136:2008).

وتضيف (ماري إلياس) متحدّثة عن دور المسرحة في مجالات أخرى غير المسرح "إنّنا نعتبره مفهوما مفتاحيّا فعّالا في مجالات عديدة، منها الفنون بأنواعها والبحث السوسيولوجيّ والانتروولوجيّ (عندما نتكلّم عن مسرحة الحياة اليوميّة ...) وعلم النفس أو التحليل النفسيّ (مسرحة الهواجس والأحلام" (نفسه، 136).

وإذا كان من الصعوبة بمكان الوقوف عند تعريف واحد دقيق للمسرحة، فإنّنا سنكتفي بأقرب التعريفات إلى إشكاليّة بحثنا وأكثرها ارتباطا بمجال اهتمامنا، وهو الدور الّذي يمكن أن يقوم به المسرح في العمليّة التعليميّة التعلّميّة، وفي مجال التربية على المهارات الحياتيّة.

وعليه، تصبح المسرحة من هذه الزاوية هي كلّ ما كان قابلا للتحويل في شكل عرض سمعيّ بصريّ وفق آليات معيّنة، وعلى ضوء أهداف بيداغوجيّة وتربويّة تضعها مناهج الدراسة في مختلف الأنشطة.

فكيف تظهر فاعليّة المسرحة في أنشطة البرامج الدراسيّة؟ وما الآليّات المعتمدة لتفعيل دورها البيداغوجيّ والتربويّ؟ وما وجه العلاقة بينها وبين الألعاب الدراميّة؟

1 - 3 الألعاب الدراميّة

حظي هذا المفهوم باهتمام كبير من المتخصّصين في عديد المجالات كمجال علم النّفس التربويّ ومجال المسرح، إلى أن وصل صداه إلى مجال علوم التربية، فأصبح إدراج اللعب

الدراميّ في التعليم ضرورة من ضرورات الفعل التربويّ الّتي "ترقى بأذهان المتعلّمين إلى تحصيل المعرفة بأسلوب مشوّق ومثير كما تتيح الفرصة للطلاب في أجل المشاركة بفاعليّة في المادّة التعليميّة المطروحة" (نواصرة، 2009: 55).

والألعاب الدراميّة من هذه الزاوية . إذا أحكم توظيفها . تستجيب لتلك الأهداف، لأنّها "شكل مميّز ذو صبغة خصوصيّة للتّعابير الطّفليّة سواء كانت فرديّة أو جماعيّة" (مصباح، 2010: 59)، ويمكن أن نعدّ اللّعب الدّراميّ تقنية مسرحيّة تقوم على ضرب من النّشاط التعبيريّ، الحركيّ أو الصّوتيّ أو الذهنيّ، لكنّ الفرق بينها وبين العرض المسرحيّ أنّها لا تتطلّب ديكورا خاصّا أو لباسا أو أيّ مكوّن من مكوّنات العُروض، لأنّ بناء نشاط اللّعب يتمّ في الفضاء المدرسيّ، وبحسب ما يتوافر فيه من أثاث، ثمّ لا يمكن أن ننفي علاقة الألعاب الدراميّة بالفنّ المسرحيّ، ولذلك فإنّنا سنتوقف عند أنواع الألعاب ذات العلاقة المباشرة بفنّ المسرح، أي إنّنا سنكون إزاء ضرب من الألعاب الدراميّة المسرحيّة أو المُمسرحة؛

. فما وجه العلاقة أو الترابط بين الألعاب الدراميّة وفنّ المسرح؟

. وكيف تعمل هذه الألعاب الدراميّة على تفعيل دور المعلّم النّشط، وتنمية دافعيّة المتعلّم للتعلّم؟

. وما مدى استخدامها في تربية المتعلّم على جملة من المهارات الحياتيّة ذات البعد الاجتماعيّ؟

4-1 المهارات الحياتيّة

يتكوّن المفهوم من كلمتين، يَجدر بنا أن نقف عند كلّ لفظ بمعزل عن الآخر وقفة سريعة.

1 - 4 – 1- مفهوم المهارة

إن المهارة مثلما وردت في معجم اللّغة العربيّة المعاصرة تعني "إحكام الشّيء وإجادته والحذق فيه والأداء المتقن له. يقال: مهر الشيء أي أحكمه وصار به حاذقا فهو ماهر (.....) فالمهارة الإحاطة بالشّيء من كل جوانبه والإجادة التامّة له (الأسيوطي، 1994:187).

ومن الناحية الاصطلاحيّة، فالمهارة تعنى "القدرة على التصرّف بفاعليّة في مواقف محدّدة، وهي قدرة تستند إلى المعرفة لكنّها لا تقتصر عليها" (Perrenoud،1997 :1).

وقد عرّفت في كتاب مفهوم مهارات التربية بكونها "القدرة على أداء مهمّة معيّنة بدقّة واحترافيّة" (بن عبد الله، 23: 2002).

وإذا نظرنا إلى المهارة في علاقتها بالحياة، أي المهارات الحياتيّة، فإنّنا نرتاد مجالات عدّة، ومعارف متداخلة، لذلك علينا توضيح المفهوم، والوقوف إلى ما تعلّق منه بموضوع هذه الورقة العلميّة، وهذا يعنى أن نتعامل مع المهارات الحياتيّة على أساس أنّها مهارات عرضيّة أساسيّة للتعلّم والعيش معا.

والأهمّ من كلّ هذا أن نكون على وعي بالدواعي الّتي جعلتنا نهتمّ بالمهارات الحياتيّة في مجال التربية والتعليم. ومن أبرز التعريفات الّتي قدّمت للمهارات الحياتيّة ما جاء في "دليل المهارات الحياتيّة "من كونها تلك الّتي يحتاجها الإنسان لتحقيق أقصى استفادة من الحياة، وعادة ما ترتبط (...) بإدارة نوعيّة لمعيشة حياة أفضل، فهي تساعد الناس على تحقيق طموحاتهم والعيش بإمكاناتهم كاملة" (الجمهورية العربيّة السوريّة، وزارة التربية، 10).

. فما السّبيل إلى إدماج هذه المهارات الحياتيّة في الممارسات المهنيّة للمعلّمين؟

. وكيف يكون المعلّم قادرا على تجسيدها في ممارساته المهنيّة، وخاصّة في علاقاته بمنظوريه حتى يستطيع أن يلعب دور النّموذج الإيجابيّ؟

هذان السؤالان وتلك الأسئلة الّتي طرحناها في خاتمة كلّ تعريف، تمثّل مراكز اهتمام رئيسة في مبحثنا، نسعى من خلالها إلى اختبار مدى قدرة الفنّ المسرحيّ . ومن ثمّة الألعاب الدراميّة تحديدا . على لعب دور فعّال في تجديد الممارسة المهنيّة للمعلّم، وحمل المتعلّم على تنمية مهارات الحياة لديه.

3- في علاقة المسرحيّ بالألعاب الدراميّة

تُجمع جلّ الدّراسات الّتي تبحث في علاقة المسرح بالألعاب الدراميّة على وجود تقاطعات كبيرة بينهما إن على المستوى الإجرائيّ العمليّ، وإن على مستوى الوظيفة، ومن نقط الالتقاء والتقاطع نَذكر:

1-3 :اللّعب: Le Jeu

يعدّ اللّعب من المداخل الجوهريّة لتبيّن علاقة المسرح بالألعاب الدراميّة، لأنّ هذه الكلمة استحالت إلى مفهوم ذي صلة وثيقة بالمسرح على اختلاف مكوّناته وأنواعه بما في ذلك النّوع الدراميّ، وهو ما يؤكّده (باتريس بافيس) في "أنّ للمسرح علاقة وثيقة باللّعب على مستوى المبادئ والقواعد، وعلى مستوى الأشكال المسرحيّة المختلقة (بافيس، 2015). وعليه، فإنّ المقصود باللّعب المسرحيّ هو الأداء المسرحيّ نفسه، بالحركة أو بالكلمة أو بالإيماءة أو بالإحساس والإيحاء بالفكرة، وهذا هو نفسه الّذي يمثّل الممارسة الفعليّة للألعاب الدراميّة

الّتي هي في الأصل ضرب من المشاركة فى نشاط مُمسرح، وهكذا نصل إلى نقطة التقاطع الثانية بين المسرحيّ والألعاب الدراميّة وهي:

2-3 المسرحة théâtralité

وهي ما يُعرف بصناعة الفرجة في الممارسة المسرحيّة، انطلاقا من فضاء مخصوص، غير أنّ هذه الفرجة تختلف على مستوى الفضاء بين فضاء الألعاب الدراميّة وفضاء المسرح، ذلك أن الأولى لا تتطلّب ديكورا مخصوصا، ولا لباسا بعينه، فبناء فضاء اللعب يتمّ في الفضاء المدرسيّ نفسه ومن الأثاث المتوافّر، أضف إلى ذلك أنّ المشرف على الألعاب الدراميّة غير مطالب بأن يكون متخصّصا في المسرح، بل يمكن أن يكون المعلّم هو المحدّد لنوع اللعبة الدراميّة بما يتماشى والأهداف المرسومة للنّشاط، ويتوافق وقوانين اللعبة وتعليماتها الّتي تنجز على ضوئها، ومن هذا المنطلق لا يتمّ توظيف الألعاب الدراميّة لغاية التّسلية، إنّما توظّف بصفتها ألعابا تربويّة ولغايات تعليميّة ذات علاقة بأنشطة البرامج المدرسيّة، وهذا هو البعد البيداغوجيّ لها مثلما سنتبيّن لاحقا.

ويمكن للمسرحة أن تُعدّ القاسم المشترك بين المسرح والألعاب الدراميّة، إذ تستحيل إلى تقنية تيسّر عمل المعلّم، وتقوّي دافعيّة المتعلّم على تقبّل المعارف وترسيخها وتبسيطها، لأنّه عبر هذه التقنية (المسرحة) يصبح مشاركا في بناء معارفه لا مجرّد متلقّ سلبيّ.

فالمسرحة على هذا الأساس هي ضرب من الإعداد المسرحيّ تتمّ وفق آليات معيّنة تضمن تحوّل الخطاب إلى فعل مسرحيّ، ومن أبرز هذه الآليّات الألعاب الدراميّة الّتي في الأصل فنّ وتقنية؛ فهي فنّ من منطلق علاقتها بالمسرح والمسرحة، وهي تقنية بما توفّره من إمكانات لتحويل الأنشطة من الصّيغة اللفظيّة المكتوبة إلى صيغ سمعيّة وبصريّة معروضة، وهو ما " يزيد من تنمية دافعيّة الفرد للتعلّم و[مساعدته] على تطبيق ما يتعلّمه علميا" (الطويرقي، 2017: 12).

وهكذا نصل إلى نقطة التقاطع الثالثة بين المسرحيّ والألعاب الدراميّة، وهي "رهان التعلّم والتعليم، والّتي هي مدار بحثنا الرئيس في هذه الورقة العلميّة؛

. فما السّبيل إلى مسرحة التعلّم؟

. وكيف تكون الألعاب الدراميّة أداة تربويّة تعليميّة في الوسط المدرسيّ؟

3-3 رهان التعلّم.

لقد أضحى إدراج الألعاب الدراميّة ومسرحة الأنشطة أو الدروس ضرورة من ضرورات الفعل التربويّ الحديث، والمقصود بها "إعداد المواد الدراسيّة للمناهج دراميّا، وكتابة مسرحيّة تعتمد في مادّتها على دروس منتقاة من المناهج الدراسيّة العلميّة "(حسين،48:2005)، ما يجعل أقطاب المثلّث التّعليميّ (المعلّم، المعرفة، المتعلّم) على درجة من التّفاعل النّشيط.

وتُجمع جلّ البحوث الحديثة اليوم على أنّ اللّعب من أهمّ المداخل لهذا الرّهان التّعليميّ، وليس أدلّ على ذلك من كون التعلّم عبر اللعب بات من المفهومات الّتي تستخدم في علوم التربية وعلم النفس، إذ يرى (فيجوتسكى) أنّ "اللّعب هو المصدر الرئيس لنموّ الأطفال عاطفيّا واجتماعيّا وجسديّا ولغويّا ومعرفيّا"، وهو ما يجعلها الوسيلة المثاليّة حيث تمكّن المتعلّم من اكتساب المهارات الّتي يصعب اكتسابها بالطرائق البيداغوجيّة التقليديّة.

ويُشير (رينجارت Ryngaert) فيشير إلى أن" اللّعب يساعد في تعزيز الرّغبة في التعلّم، ومتعة المعرفة" (Ryngaert,168:1995)، فاللّعب إذن وسيلة ممتعة للتعلّم المدرسيّ علينا أن لا نتجاهلها، ووسيلة تحفيز وتنمية الدافعيّة تسهّل عمليّة التّركيز واستخدام الذاكرة، بمقتضاها يصبح المتعلّم شريكا فاعلا في العمليّة التعليميّة التعلّميّة، له دور عليه أن يلعبه بكلّ ثقة ومسؤولية، ولا يوجد في نظرنا أنسب من الفضاءات التعليميّة لممارسة هذه الألعاب الدراميّة، أو هذا اللّعب المسرحيّ.

وخلال عمليّة المسرحة، يُعاد تشكيل النشاط المزمع تقديمه وفق آليّات مخصوصة تجعل المادّة المعرفيّة مهيّأة للإنجاز المشهديّ، وما كان للمسرحة أن تضطلع بهذا الدور التعليميّ إلاّ لأنّها تعني "فنّ أو تقنية تحويل [النصوص] إلى خطاب مسرحيّ محمّل بدلالات كثيفة تنفتح على مجالات أبعد من حدود السّرد المكتوب" (الأنصاري،16:2007).

وهنا لا بدّ من التّأكيد على ضرورة "تمهير" المعلّم على عرض دروسه من منظور فنّيّ مسرحيّ، لأنّ هذا الشّكل من التقديم يضطلع بوظيفتين: الأولى معرفيّة، وهي وصول المعلومة إلى المتعلّم، والثانية فنّيّة وهي استقبال المعلومة، وهو يستمتع بهذه الوسيلة الجديدة في التّدريس، على أنّ هذه العمليّة ليست من السّهولة بمكان، فهي تحتاج إلى إعداد واستعداد مسبقين، وإلى وضع (سيناريو) بيداغوجيّ حتّى لا تكون هذه الممارسة المهنيّة قائمة على ضرب من الارتجال قد يفقدها وظيفتَيها التربويّة والتعليميّة.

وتمّر هذه العمليّة بثلاث مراحل أو ثلاثة إجراءات لتحقّق المشهديّة المسرحيّة ضمن هذا الفضاء المدرسيّ، وهذه المراحل هي:

3-3-1: مرحلة التكييف (Adaptation)

التكييف المسرحيّ هو نوع من التعبيرات السمعيّة البصريّة، يسمح باستكشاف تجربة شكل جديد من أشكال الممارسة المهنيّة، وإعادة إنتاج المعرفة، "ووفق هذه المعالجة يتحرّر النّص المكتوب من أسر اللغة الملفوظة فينطلق إلى آفاق الانفتاح والتعدّديّة ليندمج مع البنى (...) الّتي تتيحها الكتابة المشهديّة" (نفسه، 9)، وتتمثّل ممارسة التكييف في استخدام مادّة موجودة مسبقا (نصّ، مادّة معرفيّة، ممارسة مهنيّة، نشاط كتابيّ أو شفويّ...) لإنشاء عرض يسمح برؤية هذه المادّة بطريقة جديدة.

وعلى المعلّم بوصفه العنصر الفاعل في هذا المشهد "المكيّف" أن "يوائم أفعاله مع عناصر الموضوع ولا ينعزل عن النسق المسرحيّ [لأنّه في النهاية] جزء من منظومة دراميّة محبوكة" (نفسه، 11).

3-3-2 – التّحويل: (Transmutation)

ونعني به تحويل المعرفة من شكلها الكلاسيكيّ القائم على التلقين إلى شكل جديد من أجل بناء المهارات وتطويرها عبر إستراتيجيّة إبداعيّة أساسها "الإنشاء المسرحيّ الّذي (...) يخلخل بنية المكتوب، و[يحوّله] إلى تداوليّة بصريّة" (نفسه،12).

وتضعنا عمليّة التّحويل إزاء تجربة اختار المعلّم أن يعيد إنتاجها، وأن يمنحها الحياة، فيتلقاها المتعلّم بالكثير من الحيويّة والدافعيّة والتّفاعل الإيجابيّ، وهو ما يعكس أهميّته في مجال تحديد الممارسات المهنيّة، وتطوير المهارات الحياتيّة الّتى تسمح - مثلما سنرى - ببناء هويّة الفرد داخل المجموعة.

3-3-3 التّلقي (Réception)

إذا كان فعل المسرحة "هو تسجيل ما هو مدهش للمتلقّي، وإقامة علاقة مغايرة (...) داخل فضاء مغاير [الفضاء المدرسيّ] يضع النّاظر والمنظور كلّا في مواجهة الآخر" (نفسه، 15)، فإنّ ذلك يعنى أنّ الأطراف الحاضرة في عمليّة التلقّي ستصبح فاعلة ومنتجة، وتخرج من حالة الجمود إلى الحركة، ما يتيح "الفرصة للفهم والتأويل والارتقاء إلى امتلاك الدلالة وإنتاج المعنى" (نفسه، 14). فمرحلة التلقّي ترفض فكرة الثّبات وعليه بُمكننا أن ننظر إلى لحظة العرض، وهي نفسها لحظة التلقّي لكونها الأثر المادّيّ لعمليّة المسرحة أو لنتائج تلك الألعاب الدراميّة، وفيها يكشف المتعلّم عن الدّلالات الّتي تحملها المسرحة، وهكذا يكون استقبال العرض متعدّد الإبعاد، من ذلك أن أثار التفاعل معه هي عبارة عن تغذية راجعة بالمفهوم التربويّ للكلمة والّتي

هي عبارة عن الآثار الّتى يمكن ملاحظتها على المتقبّل، وأوضحها وأقربها للعيان حالة التّركيز الّتي تظهر على المتعلّم، وهي عبارة عن انعكاس لنشاط داخليّ مكثّف، نفسيّ أو ذهنيّ يعكس بالضرورة استثمار المتعلّم القويّ لما يعرض أمامه ولما يجده فيه.

4- الرّهانات التربويّة للألعاب الدراميّة

لَم تَعد غاية الألعاب الدراميّة مثلما بيّنّا سابقا التّسلية، بل هي ألعاب تربويّة تعليميّة، يستثمر فيها حبّ الطفل الفطريّ للعب لإثارة دافعيّته للتّعلّم النشط، ولحمله على اكتساب جملة من المهارات الحياتيّة ذات الأبعاد الاجتماعيّة، أي أنّ هذه الألعاب لا تقف وظائفها عند ما هو مدرسيّ تعلّميّ، بل هي تمسّ بشكل مباشر الجانب الاجتماعيّ الحياتيّ، أي المعيشيّ اليوميّ، (العلائقيّ // التواصليّ// الاقتصاديّ ...)، وهذا ما سنحاول أن نتوقّف عنده في هذا القسم من مبحثنا.

4-1 أنواع الألعاب الدراميّة المستهدفة

تُعدّ هذه الألعاب الدراميّة عبارة عن وسائط تربويّه تعليميّة، وهي من أكثر أساليب التعلّم الجاذبة للناشئة، وفيها من التنوّع والاختلاف ما جعل جلّ الدّراسات تجمع على فاعليّتها البيداغوجيّة التربويّة والحياتيّة على حدّ سواء. ومن أهمّ هذه الألعاب الّتي يتداول توظيفها مدرسيّا والّتي لا تنفصل عن جذورها المسرحيّة، نكتفي بالوقوف عند الألعاب الآتية.

4- 1 -1 لعب الأدوار

ومن أهمّ ما فيها أن:

. يقوم المتعلّمون بتجسيد أدوار الشّخصيّات وسرد القصص.

. يختار كلّ متعلّم الدّور الّذي يتماشى وميولا ته وقدراته.

. يتمتّع المتعلّم بمساحة كافية للتّعبير اللّغويّ أو الجسديّ أو الاثنين معا.

4-1-2 مسرح العرائس أو الدّمى

هو وسيلة تعليميّة ناجعة وناجحة، يهتمّ مسرح الّدّمى بتقديم الحياة بشكل مصغّر، وهذه الدّمى أو العرائس تبدو سهلة الصّنع، وهي "أقرب ما تكون إلى عالم الطّفل والأكثر تأثيرا فيه" (صبيطة وحاج صالح، 13:2022). ويقوم هذا المسرح على بناء محكم لأنّه ينطلق من فكرة ويعالج موضوعا، ويتحرّك ضمن حبكة مسرحيّة واضحة.

4 -1 – 3 مسرح خيال الظلّ

يقوم هذا الضّرب من المسرح على جملة من العناصر الفنيّة تشدّ انتباه المتعلّم، من أهمّها الدمى أو أشكال الأخيلة المتحرّكة. وقد عرّفته الباحثة إلهام فرج سليمان بأنّه "نوع من الترفيه المسرحيّ، بتمّ فيه استخدام الدمى أو الأشكال بالخيال، وهو من الوسائل التربويّة التعليميّة (...)، فهو ينمّي خيال الطّفل وينمّي عقله ومهاراته الاجتماعيّة واللّغويّة" (سليمان، 2022). وقد أظهر هذا الضّرب من اللّعب الدراميّ فاعليّة في تنمية الدّافعيّة للتعلّم وتنمية المهارات الحياتيّة لدي المتعلّم، فتلتقي إذن مختلف هذه الألعاب الدراميّة لتحقيق جملة من الرهانات البيداغوجيّة وأخرى تربويّة ذات صلة بمهارات الحياة في بعدها الاجتماعيّ.

2-4 الرّهانات البيداغوجيّة

تظهر القيمة البيداغوجيّة لهذه الألعاب الدراميّة عندما تستحيل إلى وسيلة تعليميّة ناجعة ومؤثّره، وقد حقّقت أهدافها عبر الممارسة المهنية الّتى يتمّ اختبارها على المتعلّمين، ومن الضّروريّ هنا أن تقدّم الدّوائر المسؤولة والفاعلة في العمليّة التعليميّة التعلّميّة مقترحات بنّاءة لمساعدة المعلّمين على الانخراط في هذه التجارب، لأنّنا لا نزال بحاجة إلى بعض الجرأة على ممارسة هذه الألعاب الدراميّة أو على مسرحة الأنشطة المدرسيّة.

ولا يمكن للمعلّمين المنخرطين في هذا النّوع من الرّهان التّعليميّ والتّربويّ أو الرّاغبين في الانخراط، أن يتغاضوا عن جملة من الأسئلة الحيويّة أو التحدّيات التربويّة الّتي يطرحها توظيف المسرحة ودمج الألعاب الدراميّة في التّدريس بشكل حيويّ ديناميكيّ، وأن تظهر من خلال صياغة أهداف بيداغوجيّة، تعليميّة محدّدة، والبحث عن مهارات وجب تطويرها وتدريسها،

وهكذا لم تعد الفنون وضمنها المسرح والألعاب الدراميّة مجرّد ترف معرفيّ أو تعليميّ، بل ضرورة بيداغوجيّة لها الكثير من المنافع والمردوديّة الإيجابيّة لدى المعلّم والمتعلّم على حدّ سواء، وتعمل على إثارة دافعيّة هذا المتعلّم التعليميّ

4 - 3 - الرهانات التربويّة

لا تقف أهميّة هذه الألعاب الدراميّة عند وظيفتها البيداغوجيّة أي التعليميّة التعلّميّة، وإنّما يمكن استثمارها في تربية الطفل أو المتعلّم على جملة من المهارات الحياتيّة، لأنّ هذه المهارات هي الّتي "تحقّق التكامل بين المدرسة والمجتمع، وتُساعد المتعلمين على التعامل بفاعليّة مع مواقف الحياة المختلفة والتغلّب على صعوباتها"(المغرّز، 719:2024).

ثمّ إنّ ارتباط هذه المهارات الحياتيّة بكلّ من المدرسة والفرد والمجتمع يفسّر لنا تفريع منظمة اليونسيف لها إلى أربعة أبعاد. وكلّ بُعد يرتكز على ثلاث مهارات أساسيّة؛

* **البُعد المعرفيّ**: أي التعلم من أجل المعرفة، ويشمل هذا البعد مهارة الإبداع، ومهارة التفكير الناقد ومهارة حلّ المشكلات، ويمكن اكتساب هذه المهارات بممارسة نوع من الألعاب الدراميّة يسمّى "الألعاب ذات القواعد" (Jeux à règles)، وبمجرّد دخول الطفل إلى المدرسة يبدأ في ممارسة ألعاب تحكمها قواعد يجب عليه الانصياع لها، وهذا ما يساعده على تعلّم مهارة تبادل الأدوار، ومهارة التفاوض وحلّ المشكلات،لأنّ الانصياع لتلك القواعد هو نذير لما ستكون عليه حياته في المجتمع بقواعده وقيوده، وهنا يتجلّى الرهان التربويّ التعليميّ، وقد تفاعل مع البعد الاجتماعيّ لتلك المهارات، وعلى المعلّم أن يختار الألعاب الّتي تتضمّن مهارات متنوّعة تتماشي واحتياجات المتعلّمين في الصفّ الدراسيّ.

* **البُعد العمليّ**: أي تطبيق ما تمّ تعلّمه بكفاءة وإنتاجيّة على أرض الواقع، ويشمل مهارة التعاون ومهارة التّفاوض ومهارة صنع القرار.

* **البعد الفرديّ**: أي نتعلّم لنكون، "ويشمل هذا البعد مهارة التحكّم الذاتيّ، ومهارة التواصل، ومهارة القدرة على التكيّف، وهنا "يتعيّن اعتبار هذه المهارات عوامل تمكينيّة لأبعاد التعلّم الأخرى" (اليونيسيف، 2020).

***البُعد الاجتماعيّ**: أي التعلّم من أجل العيش المشترك، ويشكّل هذا البعد الأساس الأخلاقيّ للأبعاد الثلاثة الأخرى (المعرفيّ، والعمليّ ، والفرديّ)" (اليونسيف، 2020).

ويشمل هذا البُعد، مهارة احترام النوع ومهارة التعاطف ومهارة المشاركة، ويكون أداء المتعلّم قابلا للقياس في أفعاله وسلوكاته، ويمكّننا ذلك في شكل استجابات جديدة تظهرها ردود الأفعال والمواقف لحظة التلقّي المشهديّ للألعاب الدراميّة، وهذا وجه آخر من أوجه التفاعل بين الألعاب الدراميّة والمهارات الحياتيّة ضمن الفضاء المدرسيّ، لأنّ مهمّة المدرسة تتمثّل في إعداد المتعلّمين بشكل أفضل للحياة الّتي تنتظرهم وتعلّمهم كيفيّة إدارة عواطفهم، وإيقاظ إحساسهم بالتعاطف، وتنمية كلّ تلك المهارات بوعي.

ويكفي أن نرصد المراحل أو الخطوات الّتي تكتسب بها المهارات ذات البعد الاجتماعيّ ليتأكّد لنا هذا التفاعل بين الحياة المدرسيّة والمهارات الحياتيّة، ويعتبر المسرح عموما والألعاب الدراميّة على وجه الخصوص من أبرز الوسائل البيداغوجيّة والتربويّة القادرة على تلبية حاجات المتعلّم المدرسيّة والحياتيّة، وحاجات المعلّم في ممارساته المهنيّة.

ثُمّ إنّ القصد من إدماج المهارات الحياتيّة في التدريس هو "إكساب المتعلّم خبرة عن طريق الاحتكاك المباشر بالأشخاص والأشياء والظواهر، وتمكينه من التعايش والتكيّف مع متطلّبات الحياة بما يتلاءم مع تلبية حاجاته الحياتيّة، فضلا عن تزويده بالمعارف والمهارات والقيم اللازمة لمواجهة تحدّيات العصر" (زاح، 230:2024).

الخاتمة

لقد تبيّن لنا من خلال هذه الورقة أنّ الحديث عن دور المسرح بوصفها فنّا والألعاب الدراميّة بصفتها تقنية مسرحيّة متولّدة عنه، ووظائفها في تربية المتعلّم على مجموعة من المهارات الحياتيّة المتعلّقة بالبُعد الاجتماعيّ ليس مجرّد تنظير، وإنّما هي عمليّة يمكن تطبيقها وأجرأتها بشكل عمليّ، وهو ما حرصنا على إنجازه مع طلبتنا في الكثير من الأنشطة المتعلّقة بمختلف تعلّميّات مادّة العربيّة، وقد حاولنا أن نفعّل مفهوم اللعب المسرحيّ من خلال توظيف الألعاب الدراميّة باعتبارها تقنية فعّالة لتربية المتعلّم على جملة من المهارات، ولتحسين جودة العمليّة التعليميّة التعلّميّة.

ونحن في كلّ ذلك نتحرّك داخل أرضيّة معرفيّة تستند إلى مرجعيّة فكريّة فلسفيّة أساسها مفهوم المحاكاة، كما نظر لها أرسطو وهو يتحدّث عن فنّ المسرح، واستندنا إلى واقع تربويّ علميّ يقرّ بقدرة المسرح اليوم على استيعاب مختلف العلوم والفنون، وهذا ما يجعله محرّكا جوهريّا لكلّ بحث في مجال التربية والتعليم.

ويؤكّد باتريس بافيس في معجمه أنّنا أصبحنا اليوم نتحدّث عمّا يُسمّى "علم المسرح" (Théâtrologie)، ومنه يتفرّع علم المشهديّة (Scénologie) أو "علم الحيز المسرحي" الّذي يعنى بدراسة الدراما تورجيا أي فن المسرحة والإخراج وأداء الممثل(...) باختصار جميع العناصر الّتي تسهم في إنتاج العرض" (بافيس: 481) والتمكّن من هذه العناصر، أو احتسابها نوعا من الكفايات، يجعل المعلّم قادرا على مسرحة أيّ نشاط مدرسيّ، والمدخل الرئيس لذلك هو اللعب الدراميّ، وهو من وجهة نظرنا يسمح بتغيير النموذج النقليّ للتدريس، ويترك المجال للمتعلّم الّذي يسيطر على الموقف، لكن يبقى تحت إشراف المعلّم.

هكذا يجوز لنا أن نتحدّث في خاتمة هذه الورقة العلميّة عن ضرب من التعليم الفنّيّ والثقافيّ الّذي يهزّ حدود العمل التعليميّ ويجعل من اللعب علما يمكن تعليمه، ومن البيداغوجيا فنّا، فينمو بذلك لدى المتعلّم الإدراك الحسّيّ والتعبير الحركيّ، وتتعزّز في داخله الثقة بالنّفس، وحالات المشاركة الوجدانيّة، وبذلك يتوسّع مفهوم التربية اليوم

ليرتقي إلى ضرب من التربية الجماليّة الّتي كثيرا ما نادت بها نظريّات التلقّي Théories de la réception**، وهو أمر حقيقيّ وجب أن يصبح أصلا أو واقعا ملموسا في مناهج التدريس اليوم وفي الأنشطة المدرسيّة، لأنّ المسرح ومن ثمّة الألعاب الدراميّة يُعَدّان جزءا مهمّا من النشاطَين الثقافيّ والفنيّ للناشئة، وخير مجال لتسوية شخصيّة الفرد ولا سِيَّما الطفل، فارتباط المسرح بالمدرسة من أفضل الطرائق البيداغوجيّة ذات البُعد التعليميّ التعلّميّ الّذي يستهدف تطوير الأولويات اللازمة المرتبطة بتربية الفرد وأنجعها.**

قائمة المَصادر والمَراجع

المَراجع العربيّة:

- آن برسفيلد، قراءة المسرح، ترجمة مي التلمسانيّ، مركز اللغات والترجمة، أكاديميّة الفنون، مصر د ت.
- إلهام فرح سليمان، مسرح خيال الظلّ، مجلّة رواحل الإلكترونيّة Rawahel.org، فيفري 2022، تاريخ المشاهدة: 04 – 04 – 2025.
- إيمان صبيطة وعبير الحاج صالح، توظيف أوسع لمسرح العرائس في المجال التّربويّ، تونس 2022.
- باتريس بافيس، معجم المسرح، ترجمة ميشال خطّار، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط 1، بيروت 2015.
- حسن المغرّز، دور المسرح المدرسيّ في التدريب على المهارات الحياتيّة ، مجلّة البحث في العلوم الإنسانيّة والمعرفيّة المجلّد 1 العدد 7، أكتوبر 2024.
- حسين الأنصاريّ، الأداء الدلاليّ في الخطاب المسرحيّ بين المكتوب وفضاء العرض، مجلّة الأكاديميّة العربيّة المفتوحة بالدنمارك، العدد 3، سنة 2007.
- دليل المهارات الحياتيّة لتلاميذ الصفّ الأوّل حتى الصفّ السادس، التعليم الأساسيّ – الجمهوريّة العربيّة السوريّة، وزارة التربية.
- راضي مصباح الديرا، مجلّة فضاء الفنون، دار سحر للنشر تونس، العدد2 ماي 2010.
- رشيد زاح، البُعد الوظيفيّ للعمليّة التربويّة في تعزيز المهارات الحياتيّة ، مجلّة عطاء للأبحاث والدّراسات، العدد 6، 2024.

- عبد الخالق بن عبد الله، مفهوم مهارات التربية، دار الجيل، الرياض 2002.
- عبد الله محمّد الأسيوطي، معجم اللغة العربيّة المعاصرة، ط 3، دار الفكر، بيروت 1994.
- فرحان بليل النصّ المسرحيّ، الكلمة والفعل، ط1،، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا 2003.
- كمال الدّين حسين،المسرح التعليمي،المصطلح والتطبيق الدار المصرية اللبنانية،ط1، 2005.
- ماري إلياس، مفهوم المسرحة ، مجلّة نزوى / عمان، العدد 56 أكتوبر 2008.
- محمّد مصطفي كمال، نوع المسرح العربيّ دار المنهل اللبنانيّ، ط1، بيروت 2013.
- نواصرة جمال محمّد، أضواء على المسرح المدرسيّ ودراما الطفل، ط2، دار أحمد، عمان 2009.
- ونس الطويرقي، تدريس مهارات الحياة، E Kutub ط1، لندن 2017.
- اليونسيف، قياس المهارات الحياتيّة في سياق تعليم المهارات الحياتيّة والمواطنة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفرقيا 2020، الموقع www.unicef.org.

المرّاجع الأجنبيّة:

- Pavis Patrice(1980). Déc du théâtre éd social, Paris.
- Perrenoud Philippe (1997), construire des compétences -11 des l'ecole, (Esf éditeur).
- Ryngaert Jean pierre(1995), introduction à l'analyse du théâtre, éd Arman colin, Paris
- Ubersfeld Anne (1977). Lire le théâtre, éd sociale.